ولكن المازنى يثير الحديث والصمت ، ويبين الفكرة عن طريق التجربة . ويثير الجد واللغو . كل شىء عنده محاولة تحتاج الى تعاون اثنين يتفاعلان ، ولايملى أحدهما على الآخر سطوة عقله وأحكام إرادته .

وبعد ؛ فنرجو أن نقف عند هذه القطعة التى كتبها المازنى فى صدر حصاد الهشيم :

هذه مقالات مختلفة فى مواضيع شتى كتبت فى أوقات مختلفة ، وفى أحوال وظروف لا علم لك بها ، ولا خبر على الأرجح . وقد جمعت الآن وطبعت . ولست أدعى لنفسى فيها شيئا من العمق أو الابتكار أو السداد ، ولا أنا أزعمها ستحدث انقلابا فى مصر أو فيما هو دونها ، ولكن أقسم أنك تشترى عصارة عقلى وإن كان فجا ، وثمرة اطلاعى وهو واسع ، ومجهود أعصابى وهى سقيمة بأبخس الأثمان .

وتعال نتحاسب . إن فى الكتاب أكثر من أربعين مقالا تختلف طولا وقصرا ، وعمقا وضحولة . وما أحسبك ستزعم أنك تبذل فى ثمنها مثل ما أبذل فى كتابة هذه المقالات من همى ونفسى ومن يومى وأمسى ، ومن عقلى وحسى ، أو مثل مايبذل الناشر فى طبعها وإذاعتها من ماله ووقته وصبره .

ثم إنك تشترى كتابا ، هبه لايعمر من رأسك خرابا ، ولا يصقل لك نفسا ، أو يفتح عينا ، أو ينبه مشاعر ، فهو ـ على القليل ـ يصلح أن تقطع به أوقات الفراغ ، وتقتل به ساعات الملل والوحشة . أو هو ـ على الأقل ـ زينة على مكتبك ، والزينة أقدم فى تاريخنا معشر الآدميين النفعيين من المنفعة وأعرق ، والمرء أطلب لها فى مسكنه وقلبه وطعامه وشرابه ، وأكلف بها مما يظن أو يحب أن يعترف .

على أنك قد تهضم أكلة مثلا فيضيق صدرك ويسوء خلقك ، وتشعر بالحاجة الى التسرية والنفث ، وتلفى أمامك هذا الكتاب فالعن صاحبه وناشره ماشئت . فإنى أعرف كيف أحول لعناتك الى من هو أحق بها ثم أنت بعد ذلك تستطيع أن تبيعه ، وتنكب به غيرك أو تفككه ، وتلف فى ورقه المنثور ما يلف ، أو توقد به نارا على طعام أو شراب أو غير ذلك .

أما أنا فمن يرد إلى ما أنفقت فيه ؟ من يعيد لى ما سلخت فى كتابته من ساعات العمر الذى لايرجع منه فائت ، ولايتجدد كالشجر ويعود أخضر بعد إذ كان أصفر ، ولا يرقع كالثياب أو يرفى .